وَافِدُ الخَيْر

أضِيءُ دُجَانَا بِمَا تُوحِيهِ مِنْ صُوَرِ
وَضَّاءَةٍ وَبِمَا تُحْيِيهِ مِن سُوَرِ
وَاغْمُر بِنُورِكَ دُنْيَانَا التِي غَرِقَتْ
فِي ظُلْمَةٍ لَمْ يَلُح فِيهَا سَنَى قَمَرِ !
فَقَدْ طَغَت نَزَعَاتُ الشر وَانْطَفَأت
مَشَاعِلٌ طَالَمَا أهْدَت بَنِي البَشَرِ
وَتَاهَ مَرْكَبُنَا فِي المَوْجِ مُنْدَفِعاً
مَعَ العَواصِفِ بَيْنَ المَدِ وَالجَزَرِ !
لَمْ يَدْنُ مِن مَرْفَإٍ إلاَّ وَأبْعَدَهُ
عَنْهُ تَلاَطُمُ مَوْجٍ غَيْرِ مُنْتَظَرِ
كَبَّرْتُ لَمَا بَدَا فِي الأفُقِ مُؤتَلِقاً
سَنَاكَ وَاخْتَالَ فِي قَلْبِي وَفِي نَظَرِي
وعَانَقَتْكَ قُلُوبٌ وَهْيَ شَائِقَةٌ
إلَى هُدَاكَ اشتِيَاقَ الأرْضِ لِلْمَطَرِ !
قَدْ أجْدَبَت وَاحُهَا مِنْ بَعْدِ نَضْرَتِهَا
وَعَادَ مَا كَانَ حياً شِبْهَ مُحْتَضَرِ !
تَهَلّلت أوْجُهٌ بِشْراً وَقَدْ لَمَحْتَ
هِلاَلَ وَجْهِكَ مَجْلُوا بِلاَ سُتُرِ

وَاخْتَـــارَكَ اللَّـــهُ لِلْقُـــرْآنِ مَنْـــزِلَـــةً
قَـــدْ شَـــرفتكَ وَكَـــانَت غُـــرةَ الغُـــررِ
تَمْضِي السُّنُـونَ وَتُنْسَى فِـي مَسِيـرَتِهَـا
وَأنْتَ أخْلَـــدُ مَـــايَمْضِي مِنَ العُمُـــرِ !

* ● *

يَـاوَافِـدَ الخَيْـر ! كَمْ قَـوَّمْـتَ مِنْ عِـوَجٍ
فِي المـــؤمِنِينِ وَكَـمْ فَتّحتَ مِن بَصَـــر !
وَكَمْ جَحُـــودٍ أزَالَ اللَّـــــهُ حَيْـــرَتَـــهُ
فَصَـامَ فِيـكَ وَنَـاجَى اللَّـهَ فِـي السَّحـر
وَخَـــالَـطَ البِشْـــرُ وَالإيمَـــانُ مُهْجَتَـــهُ
وَانْسَلَّ فِي قَلْبِـــهِ مَـــا كَـان مِن وَضَـــرِ
وَمَـــا صِيَـــامـكَ إلاَّ طهـــرَةٌ وَتُقىً
وَجُنَّـــــةٌ لَـمْ تَكُـنْ إلاَّ لِمِصْطبـــــرِ
وهَـــدْيُ مَـدْرَســـةٍ جَـــاءَ الكِتَـابُ بِهَـــا
وَلَمْ تَـزَلْ شِـرعَـــةً مِن سَـالِفِ العُصُـرِ
لَمْ يَحْتَـــرِمكَ صَيَـــامٌ لَيْسَ يُعْجِبُهم
مِنْ كُـلِّ فَيْضكَ إلاَّ مُتْعَـــةُ السَّمَـــرِ !
وَلَـمْ يَصمكَ لِسَـــانٌ لَـمْ يَصُنك فَلَـم
يُمْسِكُ عَنِ اللّغْـوِ وَالاسفَـافِ والهـذر

أسهَـرْتُ فِيكَ عُيُـونِـي وَاسْتَمَعْتُ لَهَـا
تَشْكُـو لِلَيْلِكَ مَـا فِيـهِ مِنَ القِصَـرِ !
رَأيْتُ فِيـكَ بُيُـوتَ اللّـهِ مُسَـرَجَـةً
حُشُـودهَـا زُمَـرٌ تَسْعَى إلَى زُمَـر !
كَأنَّهَـا النّحْـلُ تَشْـدُو فِي خَلِيتهَـا
ظَمْأى تَنقّـل مِن زَهـر إلَى زَهَـرِ !
وَاللّـهُ أكْبَـرُ فِي أعْلَى مَـآذِنِهَـا
مَلِيئَـةٌ بِمَعَـانِي الهَـدْيِ وَالعِبَـرَ
تَفِيضُ ألْسَنُهَـا بِـالـذّكْـرِ خَـاشِعَـةً
وَتَنْتَشِي مِن شَـذَا قُـرْآنُهَـا العَطِـر
جَلّت لَيَـالِيكَ فِيهَـا كُلّ مَكْـرُمَـةٍ
وَلَيْلَـةُ القَـدْرِ فِيهَـا دُرّةُ الـدُّرَر !
لَـمْ تَخْفَ طلعَتُهَـا إلاَّ لأنّ لَهَـا
مِنَ الجَـلاَلَـةِ شَـأواً بَـالِغَ الأثَـرِ
تَنَـزَّلَ الـرُّوحُ فِيهَـا بِـالكِتَـابِ عَلَى
مُحَمَّـدٍ فَتَلَقَّـاهُ عَلَى قَـدَرِ
وَعَـاشَ يَتْـلُوهُ فِـي سِـرٍ وَفِـي عَلَنٍ
مُبَشِـراً بِـهِ فِي بَـدْوٍ وَفِـي حَضَـرِ
هَـدَى بِـهِ اللّـهُ عُمْيـاً فِي ضَـلاَلَتِهَـا
وَطَهَّـرَ الكَـوْنَ مِنْ إشْـرَاكِهَـا القَـذِرِ

عَلَّى الجِبَـــاهَ التِي كَـــانَت مُمَـــرّغَـــةً
فِي التـرَبِ تَسْجُـدُ لِلأصْنَـامِ وَالحَجَـرِ !
وَحَـــرّرَ العَقْلَ فِـي الإنْسَـــانِ مِنْ عُقَـــدٍ
وَظُلْمَـــةٍ أيْنَ مِنْهَـــا ظُلْمَـــةُ الحُفَـــر !
قَـدْ كَـــانَ شَـرْعـــاً تَحَـدّى كُـلّ أنْظِمَـةٍ
وَثَـــوْرَةً قَبْلَهَـــا الإنْسَـــانُ لَمْ يثـــر !

* ● *

ذَكَـــرْتُ بَـــدْراً وَأبْطَـــالاَ بِهَـــا صَمَـــدُوا
لَـــوْلاَهُمُـــو لَمْ يَكُن دِيـنٌ لِمُنْتَصِـــرِ

سَقَت دِمَـــاهُم رُبَـــاهَـا وَهْـيَ مُجـدبـــةٌ
فَـــاخْضَلّ مِنْهَـــا عَمِيمُ النبْت وَالشَّجَـــر

كَـــانُـــوا دُرُوعـاً لِهَـــذَا الـــدِّين وَاقِيَـــةً
وَعُصْبَـــةً عَـــزّزَت مِنْ شَـأنِـــهِ الخطـــرِ

إيثَـــارُهُم فِـي سَبِيلِ الحَـقّ مَأثُـــرَةٌ
وَسِيَـــرةٌ لَمْ تَـــزَلْ مِنْ أرْوَع السِيـــرَ !

مَنْ لِـي بِهِم إخْـــوَةً فِي دِينِهِـم غيُـــراً
مِنْ بَعْـــدِ نَكْبَتِـــهِ فِي أهْلِـــهِ الغُيُـــرِ !

وَأُمَّـــةٍ لَمْ تُفِـق مِنْ طُـــولِ هَجْعَتِهَـــا
وَلَمْ تُـــؤرق بَنِيهَـــا صَيْحَـــةُ النُّـــذُرِ !

كَـالنّســـر بَـاتَ مَهِيضـاً فِي شَـــوَاهِقِـهِ
لَـوْ قِيلَ : طِـر كبغَـاثِ الطّيْـر لَمْ يطِـر !

يَـــاوَافِـدَ الخَيْـــر مَـــا لِلْعُـــرْبِ تَـائِهَـــةً
وَمَـــا لِمَـــرْكَبِهَـــا يَمْشِي عَلَى حَـــذَر ؟!

لَعَلّ فِي وَجْهِكَ الضّـاحِـي تَبَـاشِيـرَ قَـدْ
تُحْيِي الـــرَّوَائِعَ مِنْ أمْجَـــادِهَـا الكُبَـــرِ !

فَعُـــدْ لَنَـــا بـالأمَـــانِي وَهْيَ مُـــزَهِـــرَةٌ
وَبـالْغَـدِ المُشْـرِقِ المَـــوْسُـومِ بِـالظَّفَـرِ